

مع الحج في القرآن الكريم



تصدير:

مباحث الموضوع

«الله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا».

(الإمام علي عليه السلام)

- تمهيد
- الأهداف الكبرى للحج
- معنى الحج
- الحج في الشريعة الإسلامية:

الهدف:

درس الحج ليكون استمراراً للمدرسة الإسلامية لتربية روح الالتزام في الأمة الإسلامية.

تمهيد

قال تعالى: ﴿وَأَتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا زُءُوسُكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ، فَعِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ مِّن تَمَنَعٍ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعًا إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْكُمْ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١).

بعد أن ربّت المدرسة الإلهية الناس المؤمنين على تكيّفين مهمين. أي: درس الصيام ودرس الجهاد، جعلت درساً آخر ألا وهو: درس الحج ليكون استمراراً للمدرسة

(١) البقرة/ ١٩٦

الإسلامية لتربية روح الالتزام في الأمة الإسلامية.

من الأهداف الكبرى للحج

ومن الأهداف الكبرى للحج: صناعة التقوى، وذلك لأن واجبات الحج تشترك إلى حد بعيد مع واجبات الصيام، في أنها تفرض الابتعاد عن مجموعة من الشهوات العاجلة بوعي واختيار، مما يقوي الإرادة والعزيمة، ويشحن الروح إيماناً.

والحج يشبه الجهاد أيضاً لأن فيه أخطار السفر واحتمالات الموت وصعوبات الأعمال ومن هنا جاء في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام «الحج جهاد كل ضعيف».

معنى الحج:

الحج هو قصد الزيارة وقد حول القرآن الكريم كلمة «الحج» من معناها اللغوي العام «وهو الزيارة مطلقاً» إلى معنى اصطلاحى خاص، ليكون اسماً

وعنواناً للعبادة المعينة وفق برنامج خاص في الشريعة الإسلامية. وأبونا آدم هو أول من اختط «البيت الحرام» ومارس لوازمه من مناسك وغيرها بتوجيه من الله لقصد العبادة، وبلوغ المغفرة، ونيل الفلاح لأن «حج» بفتح الحاء وشد الجيم يكون بمعنى «أفلق» أو «بلغ المقام من البلد الحرام». روي أنه سئل الإمام الباقر عليه السلام: لم سُمي الحج؟ فقال عليه السلام: «الحج الفلاح، يقال: حج فلان أي أفلق».

الحج في الشريعة الإسلامية:

هو جزء من العبادات ذات البعد الاجتماعي وذات المغزى العظيم روحياً، وهو يشبه الاعتكاف في كونه نقلة إلى الله تعالى، غير أن الاعتكاف نقلة فردية يعتكف بموجبها هذا الفرد أو ذاك في بيت من بيوت الله، والحج نقلة جماعية إلى بيت الله

الآمن، بيت الإسلام، يجتمع فيه الجميع دون اختلاف في اللغة أو اللون أو العنصر أو المذهب، ويحترم فيه الجميع ويعطى للجميع حرية الحوار والنقد الذي يهدم ما فيه صناعة التفرقة، ويبني أوامر الأخوة الإسلامية عوضاً عن الهدم اللازم، وبذلك يكون أفضل أداة للوحدة الحقيقية، الوحدة القائمة على أساس التعارف والتعاون والتعاون.

الحق والتقوى:

من خلال الآيات المتقدمة، نرى أن الحديث عن الحج لا يتناول الجوانب الاجتماعية منه كما نجد ذلك في سورة الحج، بل يقتصر على الجوانب التربوية من الحج، لطبيعة السياق الذي يتحدث عن التقوى كميزة أساسية في الشخصية الإيمانية. ففي الآيات المذكورة نجد الحديث المباشر عن التقوى وبعض مظاهرها من فرض الرقابة الذاتية على الإنسان وإبعاده عن الجريمة والنفاق حيث تكررت كلمة التقوى عدة مرات.

فقبل كل شيء، يجب أن يكون الحج أو العمرة خالصاً لوجه الله، حيث أن العمل التكليفي الصحيح هو الذي يؤتى بقصد الإخلاص وخدمة الحقيقة فحسب، فلا يدخل فيه هدف آخر من تجارة أو سياحة أو رياء وهو العمل المزيف الذي يقصد منه سماع الناس أو رؤيتهم. ولذا نرى الإسلام أكد على الإخلاص في الأعمال كلها،

وكره الرياء كراهة عميقة. قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «لا يقبل الله تعالى عملاً فيه مثقال ذرة من الرياء». ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء».

ولذا كان على الحاج أن يتمتع عن الزينة بكل مظاهرها، حتى أنه لا يستطيع أن يحلق رأسه، وإذا منعه المرض عن متابعة رحلة الحج فعليه ألا يحلق رأسه إلا بعد أن يبعث بهديه (ذبيحته - أضحيته) إلى مكة، فإذا ذبحت استطاع أن يتحلل من إحرامه ويحلق رأسه، وعندما يضطر المريض إلى حلق رأسه، فعليه أن يفدي حلقه بإياه بصيام أو صدقة أو ذبيحة. الواجب الآخر في الحج، تقديم الهدى (الذبيحة سواء كانت شاة أو بقرة أو إبل) ومن لم يجد واحداً منها، فعليه أن يصوم عشرة أيام، ثلاثة في الحج وسبعة إذا عاد إلى بيته، وأهل مكة وما حولها لا يجب عليهم الهدى. كل هذه الفرائض الواجبة إنما هي من أجل تنمية روح التقوى في القلب والخوف من الله.

ثم تختم الآية الشريفة بالأمر بالتقوى، وبالتحذير من عقاب الله تعالى، فتقول: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢).

(١) (البينة/ ٥)

(٢) (البقرة/ ١٩٦)

ولعل هذا التأكيد يعود إلى أن الحج عبادة إسلامية هامة، وهدفها البعيد هو: ألا يتهاون المسلم في واجبات دينه، وأن يلتزم بحدوده لا يتقدم فيها قيد شعرة، لأن الله شديد العقاب. ومن هنا، لو تساهل المسلمون في أداء مناسكها أو نسوا روحها، فسيؤدي ذلك إلى أضرار كبيرة في كيان الأمة الإسلامية. والحج هو تلك العبادة التي أسماها أمير المؤمنين عليه السلام «علم الإسلام» و«شعاره»، وقال عنها في وصيته خلال الساعات الأخيرة من حياته: «الله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا».

وأهمية الحج فهمها أعداء الإسلام أيضاً إذ صرح أحدهم: «نحن لا نستطيع أن نحقق انتصاراً على المسلمين ما دام الحج منتعشاً بينهم». وأحد العلماء قال: «الويل للمسلمين إن لم يفضموا معنى الحج، والويل لأعدائهم إن استوعبوا معناه».

خاتمة

«اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حَجَّ بَيْتِكَ الْحَرَامِ فِي عَامِي هَذَا وَفِي كُلِّ عَامٍ مَا أَبْقَيْتَنِي فِي يَسْرِ مَنْكَ وَعَافِيَةٍ وَسَعَةٍ رِزْقٍ، وَلَا تَخْلِنِي مِنْ تِلْكَ الْمَوَاقِفِ الْكَرِيمَةِ وَالْمَشَاهِدِ الشَّرِيفَةِ، وَزِيَارَةِ قَبْرِ نَبِيِّكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَفِي جَمِيعِ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَكُنْ لِي».